حول المقترحات الأمريكية

آراء صحفيّة

١٥

- السّلبيّات ! : للأستاذ أحمد بهاء الدين
- وراء المبادرة ! : للأستاذ محمّد عودة
- بعض الإيضاح !
- سيَاسة المدافع الصامتة والألسنة الحداد !

السلبيات ..!

بقلم الأستاذ أحمد بهاء الدين

● عاشت الأمة العربية فى الأسبوع الماضى تجربة مريرة!

وشهدت طوال ما يقرب من أسبوعين حتى الآن « مناظرة » غريبة ، غير ذات موضوع ! فلا يمكن أن تقوم مناظرة بين الذين يقبلون وقف إطلاق النار ثلاثة أشهر ، وكجزء من تحرك سياسى وعسكرى متكامل ، وبين الذين يمارسون وقف إطلاق النار منذ ثلاث سنوات ، دون أى خطة أو تحرك سياسى أو عسكرى محدد له غاية أو هدف !

على أن الرأى العام العربى – والفلسطينى بالذات وبوجه خاص – قادر عبر تجاربه الطويلة على التعرف بسرعة على الجد من الهزل .

والأمة العربية قد بلغت من النضج مرحلة لم تعد تقبل معها طويلا قيادات سياسية لا تقدم لها إلا كلاماً فى المعانى المجردة والمطلقة ، غير مقرونة ببرنامج . وخطط عمل . وبتحرك مدروس فى ساحة المعركة ، وبتضحيات ومخاطرات فى حجم الشعارات .

ومع ذلك ، فقد يكون من المفيد أن نتوقف عند بعض السلبيات ، التى أظهرت تجربة الأسبوعين الماضيين أنها مازالت موجودة لدينا نحن أبناء هذه الأمة العربية .

إنما يلحق بنا من هزائم ليس صدفة. وما لم نقر بمسئوليتنا عن بعض أسبابها ، فمعنى ذلك أننا لا نتقدم، بالسرعة المطلوبة على الأقل .

أمريكا وإسرائيل . . قوى . . لاتقهر ؟!

إن التقليل من قدر العدو غلطة مميتة . ولكن المبالغة فى قدر العدو أيضاً غلطة مميتة !

والغريب أن بعض الذين تزعموا حملات التشكيك يقعون نفسياً فى غلطة التهويل من قدر العدو ، من حيث لايشعرون !

إن الذين ينكرون أن علاقات القوى بين العرب وبين إسرائيل قد تغيرت منذ يونيو ١٩٦٧ ، إنما هم يزرعون اليأس فى النفوس . ومع أنهم يظنون بهذا الموقف أنهم يبدون أمام الناس فى صورة المتطرفين ، إلا أنهم فى الواقع إنما يصورون أمريكا وإسرائيل على أنها قوى أسطورية لا تقهر ولا يمكن أن يزحزحها عن موقفها

شيء . إلا إذا كان مما يناسبهم أن يصوروا للناس أن شيئاً لم يحدث ، لأنهم لم يساهموا فى إحداث شيء !

وتغير علاقات القوى على هذا النحو ، لم يأت بترديد الشعارات وإعلان المواقف من جهة ، كما أنه لم يأت من جهة أخرى نتيجة تغير فى أخلاقيات أمريكا ! إنما تم هذا التغير عبر ثلاث سنوات من النضال السياسى والعسكرى معاً . ثلاث سنوات من التضحيات الجسيمة فى جميع صورها وأنواعها .

تضحيات جسيمة وقرارات أساسية حاسمة جاءت من مصر بالدرجة الأولى .

قبلت مصر قرار مجلس الأمن ، نعم . ولكنها جعلت منه قاعدة لتحركها السياسى ولكسب الحلفاء وللحصول على السلاح ، انطلاقا إلى ما هو أهم وهو تغيير علاقات القوى بالفعل .

قرار الصمود والقتال فى « رأس العش » ، يوم كان ما لدينا من سلاح ورجال أقل من القليل ، كان أول علامة عملية على قرار الصمود ووقف الزحف الإسرائيلى ، والاستماتة فى هذا السبيل مهما كانت النتائج .

ثم قرار إخلاء منطقة القناة كلها من السكان ، ثلاث مدن كبرى وعشرات من المدن الصغيرة والقرى ، بكل تبعاته الإنسانية والمادية والنفسية ، كان معناه القبول بتحول منطقة القناة كلها إلى ساحة قتال شامل ، ولو دمرت كل ما فيها من مرافق حيوية .

ميزانية الخمسمائة مليون جنيه سنوياً . وضع ستمائة . ألف رجل تحت السلاح. تحمل أعنف ما لدى الطيران الإسرائيلى من قدرة هجومية على طول جبهة القتال وتحمل غارات الطائرات الإسرائيلية فى العمق وحتى ضواحى القاهرة . إنهاء قرار وقف إطلاق النار . شن حرب الاستنزاف مع الإدراك الكامل أن حرب الاستنزاف لا تستنزف طرفاً واحداً ولكنها تستنزف من الطرفين . الوصول بالتحالف السوفييتى والعون السوفييتى إلى الذروة التى وصل إليها .

ثم هناك المقاومة الفلسطينية وتجسيدها لروح وشخصية ووجود الشعب الفلسطينى من جديد .

ثم ثورات ليبيا والسودان ، ودلالتها على أن رياح التغير بعد النكسة تهب فى غير الاتجاه الذى تصورته أمريكا وإسرائيل . .

هذه الوجوه العملية ، الإيجابية، الممهورة بالدم ، للصمود والمواجهة والقتال . . هى التى لعبت الدور الرئيسى فى تحويل الموقف الأمريكى وفى حشر إسرائيل هذه الحشرة التى تواجهها الآن .

نعم . إن أمريكا ، وإسرائيل معها ، يمكن أن تتراجع . وأن تذعن .

ولكن من خلال إدخال عناصر إيجابية جديدة على الموقف تجعلها تعيد النظر فى حساباتها . هل تراجعت بالدرجة الكافية ؟ كلا . فالقوى المعادية لنا عاتية . وقوى من هذا النوع لا ينتظر منها فى ساعة سحرية أن تقبل كل شروطنا وتستسلم بلا قيد ولا شرط . ونحن لم نصل بعد إلى درجة القوة التى تسمح لنا بذلك . فالطريق مازال طويلا جداً . وما زال محفوفاً بالصعوبات والمنحنيات . وبأيام الجدل والضغط وأيام القتال .

العالم كله ، بشرقه وغربه ، بيمينه ويساره ، يرى أن أمريكا فى حرج . وأن إسرائيل تواجه مأزقاً خطيراً . ما عدا بعض العرب ! غير قادرين على رؤية أمريكا وإسرائيل إلا فى صورة المنتصرين دائماً !!

رؤية المسائل من وجهة نظر العدو !

وهي ظاهرة من أغرب الظواهر حقاً !!

مثلا : مصر قالت أنها تفهم مشروع روجرز ، كما فهمت قرار مجلس الأمن ، على أنه يدعو إلى الانسحاب الكامل من كل الأراضي المحتلة . وأنه لا يلزم بأي مفاوضات مباشرة مع إسرائيل . وأنه يفتح الباب واسعاً أمام إثارة «الحقوق الأساسية لشعب فلسطين» وهي تقول هذا رسمياً ، دائماً وباستمرار ، وتتحدث على أساسه . وإسرائيل ، طبعاً تحاول أن تفهم العكس : أن مشروع روجرز وقرار مجلس الأمن ينصان على الانسحاب من بعض الأراضي وليس منها كلها . وأنه يلزمنا بالتفاوض المباشر مع إسرائيل ، وأنه لا يقصد حقوق شعب فلسطين بمعناها الواسع الأصيل .

فماذا يفعل الذين شنوا حملات التشكيك ضد الخطوة المصرية ؟

لو أنهم رفضوا القرار لأسباب سياسية خاصة بهم أو لتقديرات يرونها . لكان الأمر معقولا وقابلا للجدل المفيد . ولكنهم أخذوا يتبنون بكل قوة تفسير إسرائيل لقرار مجلس الأمن ولمشروع روجرز !!

ودبجوا المقالات فى إثبات أن التفسير الصحيح له هو عدم الانسحاب من كل الأراضى ، وضرورة التفاوض مع إسرائيل ، وعدم الاعتراف بحقوق شعب فلسطين !!

يضعفون بهذا موقف من ؟ . . ويساعدون من ؟! . .

ولكنه أسلوب الخلاف الذى لا يعرف طريقاً إلا « العداء الذى يورث الكفر ! » وعدم قدرة على رؤية كافة جوانب الصورة ، وتقديم المصلحة العليا للقضية على مصلحة هامشية هى كسب المناظرة !!

ولو كانوا فى ذلك يصدقون العدو ، ولا يصدقون الحليف !

التقليد . . واتباع الموضة !

فى العالم كله يمين ويسار ! ونحن نؤمن بأن اليسار فى عالمنا العربى هو صاحب المستقبل ، وهو المؤهل لإحراز الانتصار ! . . رغم اقتناعنا أيضاً بأن المرحلة مرحلة جبهة وطنية وتحرير وطنى بقيادة اليسار.

ولكن اليسار أصبح عباءة واسعة ! وأصبح هناك من نفاجأ باعتناقهم اليسار بطريقة أشبه بالاقتداء بالموضة الشائعة ، وليس أبعد من ذلك !

فحين تنقلب جماعات يمينية أو وسطية فجأة لتعلن أنها أصبحت يسار اليسار ، وتنقب فى صفحات الكتاب عن أكثر ألوان اليسار تطرفاً ، وتعلق صور تشى جيفارا على الجدران يصبح من حقنا التردد والتساؤل عن مدى الجدية ، ومدى المسئولية !

جيفارا فعل كذا . فيتنام فعلت كذا . الصين تقول كيت.

والاستفادة من كل التجارب ضرورى . ولكن بالفهم العميق والإحاطة الشاملة . أما اقتطاع الاقتباسات بغير منطق إلا ما يجارى مناسبة الاستشهاد ، فهو شيء أكثر خفة من الاقتداء بالموضة . . إنه الترقيع من عدة موضات !

بدليل أننا يمكن أن نأتى لهم بأمثلة من هذه الحالات لاتناسب ما يستشهدون عليه . .

ففيتنام مثلا عرفت كيف تجد صيغة لسياسة دولة فيتنام الشمالية وصيغة لقوات الفيت كونج قبل أن تصبح حكومة .

وفيتنام تصرفت بذكاء نجحت به فى وقف الغارات الأمريكية الجوية عليها ، مقابل ذهابها إلى مائدة المفاوضات مع أمريكا . .

دون أن يخف قتالها أو تتخلى عن مبادئها وكفاحها البطولى .

والصين ترى أراضى صينية مقتطعة منها تحت حكم إنجلترا وأمريكا . . مثل هونج كونج وجزر ماتسو وكيموى ، الواقعة على مرمى حجر من شواطئها ، وفورموزا . . ولكنها لأسباب كثيرة لا تهجم عليها ، وهى بالتأكيد لن تتخلى عنها ، فى الوقت الذى يناسب حساباتها . .

كوبا . . لديها قاعدة «جوانتانامو» العسكرية الأمريكية على أراضيها ولكنها فى وضعها الملاصق للمارد الأمريكى أرادت أن تفوت على أمريكا فرصة التحرش بها . . مدركة أن الوقت معها طالما ظلت ثورتها صامدة !

وأؤكد أننى حين أسوق هذه الأمثلة لا أقصد بها أى مقارنة ولا لأجعلها مثلا يحتذى . لأن المقارنات السطحية دائماً مضللة وخاطئة . وكل وضع له ظروفه وملابساته الخاصة . فالفرق بين تفاوض الصين مع أمريكا وعدم تفاوضنا مع إسرائيل مثلا له سبب . ذلك أن الصين وأمريكا صراعهما آخر الأمر صراع سياسي فحسب ، ولكن كل منهما لا تنكر أساس وجود

الأخرى ، وصراع أمريكا وفيتنام صورة عادية من صور مكافحة الاستعمار . بعكس الصراع بين العرب وإسرائيل الذى له أبعاد وأعماق تختلف تماما عن صور الصراع التقليدى بين الدول . بل إننى أسوق هذه الأمثلة لكى أثبت العكس : إن المقارنات غير المدروسة مضللة وخاطئة . وأن الاستفادة من التجارب الأخرى تحتاج إلى نظرة أكثر شمولا وعمقاً . وأكثر قدرة على الأصالة والتجديد معاً .

والثورية الحقيقية ليست فى استيراد آخر الموضات ، ولكنها فى الدراسة العميقة للظروف الموضوعية ، ولكل علاقات القوى ، والانطلاق إلى التغيير من خلال هذه الحقائق ، وليس بتجاهلها أو القفز اللفظى من فوقها .

عدم القدرة على رؤية التعدد :

تحدث كثيراً فى صفوفنا أنواع من المناظرات غريبة .

الحل عسكرى . . أم سياسى ؟

الجيوش النظامية . . أم القوات الفدائية ؟

إزالة آثار العدوان . . أم تحرير فلسطين ؟

ولو بحثنا هذه العناوين بمنطق تحليلى ، لكان هذا مفيداً ، بل إنه واجب .

ولكن الاعتراض هو على بحثها بمنطق المقابلة والمناظرة : هذا . . أو ذاك .

ومعنى هذا رغبة كسولة فى رؤية الأشياء مبسطة ، أو رؤية الأشياء ملخصة فى شىء واحد ، وعدم القدرة على رؤية الأشياء فى طبيعتها المعقدة المتشابكة المركبة . وبدلا من العمل على تحقيق التكامل بين القوى والوسائل المختلفة ، نضعف أنفسنا بالاكتفاء بعنصر واحد والاستغناء به عن سائر العناصر .

بهذا المعنى ، إذا كنا نحارب ، افترض البعض أن جزءاً من الحرب أن نقاطع الدنيا ، ولا نعمل بالسياسة ، ولانناور ولانخطط ولا نتحرك . . وإذا قبلنا الدخول فى بحث سياسى ، فهم هذا البعض أن الحرب ، خلاص ، قد انتهت وأن القتال قد طويت صفحته . . إما هذا وإما ذاك .

والحقيقة أنه لم يوجد حل فى الدنيا إلا وكان عسكرياً وسياسياً معاً ، تخدم فيه السياسة العمل العسكرى وتحدد فيه القوة العسكرية قدرة العمل السياسى .

ومواجهة إسرائيل فى ظروف القضية الفلسطينية ، والحياة الدولية المعقدة ، تحتاج حاجة ماسة إلى الجيوش النظامية وإلى المقاومة الفلسطينية معاً .

وإزالة آثار العدوان وتحرير فلسطين يمكن أن تكون أهدافاً متواصلة .

وأنا هنا لا أصدر أحكاماً ولكننى أشير إلى طريقة تفكير .

فبدلا من الجهد الذى يبذل فى المناظرة والحذف والاستبعاد ، المطلوب هو بذل هذا الجهد فى اكتشاف العلاقة بين هذه العناصر ، وأين يمكن أن تتغذى من بعضها البعض ، حيث يكون هذا التكامل ممكنا أو مفيداً .

انتقال الصراعات الحزبية إلى المقاومة :

ستظل المقاومة الفلسطينية ظاهرة من أهم ظواهر الحياة العربية الحديثة . ظاهرة ربما يجب مناقشتها ويجوز بالتأكد الاختلاف معها أحيانا ، ولكن يجب حمايتها بكل الوسائل . .

على أنه فى المقاومة الفلسطينية خطان .

خط ، تمثله منظمات هى امتداد لأحزاب وحركات عربية أخرى . لها سياسات مرتبطة بخطط هذا الحزب أو ذاك ، وهذا القطر أو ذاك . وهو خطر يمكن أن يكون مدمراً للمقاومة لأنه يحرفها من حيث لا تشعر عن غايتها ، وينقل إليها صراعات جانبية ليست فى صميم القضية .

وخط ، تمثله منظمات نابعة من التيار الرئيسى للإرادة الفلسطينية ، التى تحاول أن تخلق وضعاً يكفل لها وضع الإرادة الفلسطينية القائمة بذاتها ، دون انقطاع عن العالم العربى كقومية واحدة يربطها بها شريان حياة واحد .

والأقطار العربية طالما هى أقطار وحكومات ، ستكون لها سياسات وآراء واجتهادات ورغبات .

وما بذل من جهود خلال الأسبوعين الأخيرين لإدخال المقاومة فى صراع النظم العربية من جانب بعض الدول ، دليل على المآزق التى يمكن أن يعرضها لها هذا الوضع . على أن التيار

الرئيسى للمقاومة ، المنتمى فى الدرجة الأولى للقضية الفلسطينية ، هو بالتأكيد التيار الأقوى والأغلب ،وهو مسئول أن يحمى مجرى الثورة الفلسطينية من الدخول فى لعبة النظم والحكومات ، ومن التعرض لسلبيات الحياة السياسية فى العالم العربى .

المصور ٧ أغسطس ١٩٧٠

وراء المبـادرة ..!

بقلم الأستاذ محمد عـودة

من الأسس الثابتة فى السياسة الغربية أن أحداً لا يستطيع أن يصل إلى أبعد مما تصل إليه مدافعه، وأن أحداً لا يستطيع أن يحصل على مائدة المفاوضات على أكثر مما يحصل عليه فى الميدان !

والمبادرة الأمريكية الأخيرة لهذا ليست رجوعاً إلى الحق أو الصواب، ولكنها تطبيق لهذه المبادئ . وربما بداية إدراك لأن المدافع الأمريكية محدودة المدى إن لم تصبح على المدى القصير، عاجزة تماماً .

أوهام السياسة الأمريكية :

وتقوم السياسة الأمريكية منذ سنة ١٩٦٧ على أن النظام فى مصر « محكوم عليه » . وأن صدمة ١٩٦٧ أشد وأقوى من أن يستطيع « تجاوزها » . وأن تشدد أمريكا سوف يثبت « عجزه » تماماً .

والدبلوماسيون والصحفيون الأمريكيون عادة . يجمعون حقائقهم من فئات وطبقات لا يعرفون غيرها ولا يستطيعون أن يعرفوا

غيرها . وهم يبنون نتائجهم على مظاهر سطحية أو جزئية . هي التي تثبت ما يريدون إثباته ! !

وقد قامت السياسة الأمريكية أيضاً على أن تأييد الاتحاد السوفييتي لمصر تأييد محدود ، وهو لن يذهب إلى المدى الأبعد ، لأن ثقة الاتحاد السوفيتي في النظام القائم محدودة. ولأن قدرة الاتحاد السوفييتي عامة محدودة ! !

موقف الاتحاد السوفييتي :

والاتحاد السوفييتي — في رأيهم تشغله في المرتبة الأولى مشاكله الداخلية والتي تزداد أهمية كل يوم ، وتشغله مشاكل « المعسكر » الحادة في أسيا وفي أوربا ... وهو لهذا يريد تسوية سريعة وسلمية في الشرق الأوسط ، ولهذا أيضاً يمكن « مقايضته » على تسوية على طريقة القرن الماضي ... وسوف يساعد ويعجل لهذه التسوية التهديد والتلويح بمواجهة يخشاها الاتحاد السوفييتي وينفر منها منذ كوبا سنة ١٩٦٢ .

الفعل . . ورد الفعل :

وبعد ثلاث سنوات ، هي بلا شك أقسى ما مر بنا ، أثبت النظام في مصر أنه أقوى وأعمق جذوراً مما تصور الأصدقاء قبل الأعداء . . .

والسياسة الأمريكية تؤدى دائماً فى مصر إلى عكس ما أرادت .

● وفى سنة ١٩٥٤ أرادت الولايات المتحدة أن ترغم مصر على دخول حلف بغداد .

● وأخرجت بن جوريون من عزلته وإقامته رئيساً لوزراء إسرائيل . وقام بالغارة المشهورة على غزة ... وكانت النتيجة صفقة الأسلحة الروسية ثم انضمام مصر إلى باندونج ...

السد العالى :

● وفى سنة ١٩٥٦ أرادت الولايات المتحدة « إذلال » مصر سياسياً واقتصادياً فرفضت تمويل السد العالى وبمظاهرة غطرسة وعنجهية صارخة وكانت النتيجة تأميم قناة السويس ، ثم الاتفاق مع الاتحاد السوفييتى على بناء السد . ولقد تم البناء فى هذه الأيام التى تحاول فيها الولايات المتحدة محاولة حمقاء أخرى ! !

مشروع أيزنهاور :

● وفى سنة ١٩٥٧ أرادت الولايات المتحدة إرغام مصر على تأييد مشروع أيزنهاور وزعزعة مكانتها العربية ، وقامت لتدبير غزو « حلف بغداد » لسوريا وحصار مصر سياسياً واقتصادياً ! .

وكانت النتيجة قيام الوحدة بين مصر وسوريا ، ثم ثورة العراق وانتفاضة لبنان

الحرب الاقتصادية :

● ومنذ عام ١٩٦٥ بدأت الاستعدادات للضربة الجديدة و « القاضية » وهى قد بدأت بالتهديد بإيقاف صفقات القمح ثم منعها ، لأن الولايات المتحدة « لا تحب أن يعض أحد اليد التى تطعمه » ولكن كانت النتيجة تدعيم القوة الذاتية للاقتصاد المصرى .

وأخيرا . . العدوان :

● وفى عام ١٩٦٧ وجهت الضربة وخيل للولايات المتحدة أنها قد حققت كل ما أرادت ! ! .

ولكن بعد ثلاث سنوات كان لا بد لها من البحث عن ضربة أشد ، وفى أوائل سنة ١٩٧٠ بدأت غارات العمق ، وكانت آخر محاولة وأشدها وحشية ، وهى قد استهدفت المدنيين حتى الأطفال وكان هدفها تحطيم معنوية الشعب ، وزعزعة معنوية القوات المسلحة وتشتيتها أو شل قدرتها على التجمع والتدريب ولكن أدت هذه الغارات إلى العكس تماماً ارتفعت معنوية الجماهير إلى حدها الأقصى وتأكد التكامل والتضامن العربى ، وابتدعت القوات المسلحة تاكتيكات وأساليب جديدة . . . وحصلت على أسلحة

عصرية وحاسمة ، ثم تأكدت الصداقة العربية السوفييتية ، ودخلت مرحلة أعمق وأبعد مدى .

وارتدت السياسة الأمريكية إلى صدر أمريكا ككل مرة ! .

نتائج عكسية :

وقد فشلت السياسة الأمريكية ازاء السوفييت كما فشلت أمام العرب .

ومنذ البداية كانت أحداث يونية سنة ١٩٦٧ لفحة هواء سام ولاذع نبهت كل القوى الثورية فى الاتحاد السوفييتى حتى الذين كانوا قد ذهبوا إلى أبعد مدى فى التفاؤل نحو الغرب !

إن هدف الولايات المتحدة الإمبريالية لم يتغير ، وهى تريد التعايش السلمى وسيلة لا غاية ، وإن معركة العصر هى معركة العالم الثالث ... وهل تنتصر الثورة فيه أم ينتصر الاستعمار الجديد وقد أصبح الشرق الأوسط وأصبحت الجمهورية العربية المتحدة بالذات هى الميدان الفاصل لهذه المعركة .

وقد فشلت الولايات المتحدة فى أن تحول الشرق الأوسط إلى مجرد مشكلة ضمن المشاكل الأخرى الكثيرة بين الاتحاد

السوفييتى والولايات المتحدة ، وأن تعقد حوله صفقة اقتسام مناطق نفوذ . أو تسوية « بلقانية » كما يتوهم كيسنجر ! ! .

وفشلت الولايات المتحدة فى الإيقاع والتشكيك بين الاتحاد السوفييتى وبين الجمهورية العربية وأدى هذا إلى تنسيق وتوثيق أكثر وأشد إحكاماً ! !

سياسة التهديد !

وأدى التهديد بالمواجهة وهو الذى بدأت الولايات المتحدة التلويح به منذ العام الماضى إلى نتائج أكثر خطورة .

ومنذ أحداث الكاريبى عام ١٩٦٢ . كانت الولايات المتحدة تهدد ، وكأنها ما زالت الوحيدة التى تملك هذه الأسلحة أو أنها التى تستطيع استعمالها أفضل من الآخرين أو أنها تملك المبادأة فى الميزان الدولى ولذلك تستطيع أن تكون البادئة والمنتصرة فى المواجهة ! !

وميزان الرعب النووى كما يسمى ليس فى صالح أحد ، وهو يعنى الفناء الشامل والمتبادل وللجميع ، ولكن لا شك أيضاً أن الأسلحة النووية مثل كل الأسلحة هى فى يد أصحاب قضية عادلة أفضل منها فى يد استعماريين معتدين . ولا شك أنها تنزل

الضرر الأكبر ببلاد تتركز صناعاتها ومدنها فى مناطق قليلة منها فى بلاد فسيحة شاسعة الحدود .

الكاريبى . . والبحر الأبيض :

ولكن سوف تختلف المواجهة فى الشرق الأوسط عنها فى الكاريبى ، لأن البحر الأبيض لم يعد بحيرة أمريكية مثل الكاريبى ولأن الشرق الأوسط أيضاً حدود روسيا وأمنها القومى ، ولأن الاتحاد السوفييتى قد صمم على أن يصحح الموازين التى اعتقدت الولايات المتحدة أنها تحولت لصالحه منذ سنة ١٩٦٢ .

والمعركة فى الشرق الأوسط ليست فقط معركة بين الجمهورية العربية المتحدة وإسرائيل أو بين القومية العربية والصهيونية أو حتى بين الثورة العربية والإمبريالية ، ولكنها معركة أوسع مدى بين الثورة العالمية بجناحيها الرئيسيين أى المعسكر الاشتراكى وثورة التحرر الوطنى والاجتماعى فى العالم الثالث ، وبين الإمبريالية العالمية ...

لا أحد يخاف أمريكا :

وبعد ثلاث سنوات لم تدخر الولايات المتحدة فيها جهداً ولم تتورع عن سلاح حتى ولو قتل الأطفال . . . ثبت أنها

لا تستطيع أن تخدع أو ترهب أحداً لا العرب ولا السوفييت ، بل وإن أسلحتها ترتد إليها فى كلا الجبهتين .

وهناك حقائق لا بد أن تتعلم الولايات المتحدة كيف تعيش معها ورغمها ، ولعل المبادرة الأمريكية بداية إدراك لهذا الدرس ! !

جريدة الجمهورية

٢٦ يولية ١٩٧٠

بعض الإيضاح !

بقلم الأستاذ محمد عودة

لاتسير الثورات، ولا يمكن أن تسير فى خط مباشر مستقيم، وطريق الثورات دائما طريق حافل بالمنحنيات ، وبأشق المرتفعات والمنخفضات ، وامتحان الثورات الحقيقى هو قدرتها على تجاوز كل هذه « التضاريس » وعلى الخروج من الهزات العصبية إلى اللحظة المحددة .

وإذا كان الانحراف هو أكبر خطر يهدد الثورة ، فإن المغامرة أيضاً والعبث بالثورة هو الخطر الذى لايقل وطأة!!

والثورة الحقيقية هى التى تشق طريقها بصلابة وبوعى دقيق، متلافية أى الخطرين ، وهى الثورة التى تستطيع أن تواجه المفاجآت وتمارس كل ألوان الكفاح فى ظل أى الظروف .

الطريق الطويل :

وقد سارت ثورة ٢٣ يوليو ، عبر طريق طويل مرير بالغ المرارة . وهى قد واجهت أعداء مختلفين من كل طراز من الداخل والخارج ومن اليمين واليسار ، ونبحت عليها كلاب

كثيرة وحاولت أكثر من النباح ولكن اجتازت الثورة كل المحن والمصاعب وأيدها التاريخ . .

وقد استمدت ثورة ٢٣ يوليو قدرتها وصحة رؤيتها من اعتمادها على السند الأول والأخير ، وهو : الجماهير ، وهى التى لم يتغير تأييدها منذ صبيحة يوم ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ، حتى يومى ٩ — ١٠ يونيو عام ١٩٦٧ ، وحتى اليوم . .

ولم تكن الجماهير المصرية وحدها ولكن الجماهير العربية بفطرتها ووعيها الصحيح . .

الحقد المريض :

ولعل سر الحقد الدفين المريض الذى يفيض من بعض النفوس هو رفض الجماهير العربية لقيادات هزيلة أو سقيمة . وإيمانها الذى لايحد بوحدة الثورة وتطلعها إلى القاهرة .

ومن العبث أن يناقش أحد مافعلت الجمهورية العربية المتحدة أو ما حققته من الثورة العربية ، لأن التاريخ يحفظه والجماهير تعرفه . . ولكن لابد من تكرار بعض الحقائق . . للذين لديهم الجرأة والقدرة على تصنع الثورة والمتاجرة بها حتى فى أدق الظروف .

ـــ بعد عام ١٩٦٧ أعادت الجمهورية العربية المتحدة بثمن باهظ ، وبجهود خارقة بلغت حد المعجزة بناء قواتها المسلحة .

ومنذ الأسبوع الأول بعد المعركة وهذه القوات تحارب ، ويموت ويستشهد منها جنود وضباط ولكن يكلفون العدو ثمناً غالياً ، هو أغلى ثمن تكلفه فى كل تاريخه . .

ـــ وقد طلبت الجمهورية العربية المتحدة إلى كل الدول العربية خاصة الدول الوطنية . والتقدمية ، وخاصة التى تعتقد أن ليس هناك تقدم أو ثورة خارج حدودها ، أن تشترك فى الجبهة .

وليس هناك أفضل من أن تشترك القوات العربية كلها فى المعارك الدائرة ، كل يوم وكل لحظة على القنال ، وليس هناك فرصة أفضل لكى تلتقى وتتلاحم القوات العربية . والجيوش والأسلحة الجوية ، العربية وليس هناك فرصة أفضل من أن تقوم أخوة السلاح بين الجمع ، وأن يختبروا طبيعة العدو ، وأساليب العدو وتكتيكات العدو معاً ، وعلى جبهة واحدة ، ولم يكن هناك أفضل من أن يختلط الدم العربى : المصرى والجزائرى والمغربى والعراقى . . مثلا فى أرض القناة ، وأن تولد بطولات عربية

مشتركة . . . . وحينما تدق الساعة الفاصلة . ويحين وقت الحساب الأخير تتقدم كل الجيوش والقوات صفا واحداً لتسوى حساب العرب مع كل الأعداء .

كانت فرصة تاريخية ذهبية وما زالت . ومنها كان سوف يخرج شيء جديد أن أخوة الجيوش والقوات العربية سوف تولد منها لاشك أخوة ووحدة جديدة بين الشعوب والجماهير وقد روتها الدماء والتضحيات والبطولات .

— ولكن لم يحدث هذا ، وتعللت الدول التي لا تمل الحديث عن الكفاح المسلح . سوف يأتي يوم تقوم فيه المعركة حقيقة . وكأن ما يحدث على القنال هو مجرد « مزاح » !

المقترحات الأمريكية :

وقبول المقترحات الأمريكية لا يعنى ولا يمكن أن يعنى التسليم لأمريكا ، والذى يسلم لأمريكا ليس من يقبل مقترحات تقدمها أمريكا راغمة مرغمة . وبعد أن لم تجد حلا آخر . . ولكن الذى يعقد أكبر الصفقات مع الاحتكارات الأمريكية ، والذى لم يستطع بعد سنوات طويلة من الثورة أن يحرر اقتصاده من ربقة السوق الأوربية المشتركة ،ومن سيطرة الاحتكارات الأوربية .

والذى يسلم لأمريكا ليس الذى يقبل المقترحات الأمريكية، ولكن الذى ينقاد للسياسات الأمريكية .

والتنمية هى لاشك واجب الدول المتخلفة نحو شعوبها . ولكن هناك طرقاً عديدة للتنمية . وهناك التنمية الحقيقية والثورية والتى تقوم على تحقيق أهداف الشعوب ــ العمال والفلاحين ــ والتى تريد خلق اقتصاد سليم ، ودفاع سليم ، وثقافة صحيحة وأن يكونوا أساس سياسة سليمة .

التنمية الأمريكية :

وهناك أيضاً التنمية على الطريقة الأمريكية ، وهى التى تبشر بها أمريكا الآن لدول آسيا وأفريقيا ، خاصة الأخيرة، وهى تنمية تريد خلق مجتمع استهلاكى . يقوم على طبقة جديدة مترفة تقدم بعض الفضلات للجماهير ، أن تحكم وتسود معتمدة على التأييد الغربى والأمريكى .

ولا يمكن أن تكون هناك تنمية صحيحة فى بلد عربى ، طالما كانت الدولة الإسرائيلية والحركة الصهيونية ، تهدد الجميع .

والتنمية الحقيقية هي التي تبدأ بتأمين التنمية وبتحرير

موارد الأمة العربية وبدفع الخطر الحقيقى الذى يهدد كل النظم الثورية والتقدمية .

وماذا تعنى التنمية فى بلد عربى إذا سقط النظام الثورى فى الجمهورية العربية المتحدة وإذا تتالت بعده سقوط كل النظم .

لن يعنى سوء رخاء محدود لفترة محدودة لطبقة منحرفة تعود بعده الأمة العربية إلى الاقتصاد الرأسمالى الإمبريالى .

سوف تكون « التنمية » مجرد فخ نصب لدولة عربية . لكى تنفصل عن الركب العربى وإلى أن يتم القضاء على العرب دولة . . ثورية بعد دولة « ثورية »!!

شمال أفريقيا :

ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية . بل وخلال تلك الحرب . والولايات المتحدة تهدف إلى الاستيلاء على شمال أفريقيا العربية وإلى وراثة النفوذ الفرنسى والإمبراطورية الفرنسية المتداعية هناك .

وقد كان العدو الرئيسى للولايات المتحدة والذى وقف أمام تحقيق هذا المشروع هو ثورة ٢٣ يوليو وهى التى ساندت كل شعوب شمال أفريقيا العربية فى ثوراتها ضد الاستعمار والتى سوف يذكر التاريخ أى دور رئيسى قامت به وبأى ثمن!

وقد قامت السياسة الأمريكية منذ ذلك الحين على فصل المغرب العربى من المشرق العربى وعلى إقامة جدار تام بينه وبين القاهرة .

آخر المشروعات الأمريكية :

ولكن آخر ما توصلت إليه السياسة الأمريكية ، هو تنسيق كل الموارد الهائلة لدول شمال أفريقيا ، وإقامة إمبراطورية اقتصادية أمريكية عربية جديدة هناك .

وقد كان كل هم الدعاية الأمريكية هو تخدير شعوب المغرب وكضمانة رئيسية لنجاح المشروع من المصريين « الجياع » الذين يتلهفون على الانقضاض على موارد المغرب والتهامها من أصحابها الشرعيين . .

وقد أطاحت ثورة ليبيا بهذا المشروع وكان من أضخم مشاريع الاستعمار الجديدة فى أفريقيا ، ولهذا فاض حقد الأمريكيين .

المحنة القاسية :

وليس هناك محنة أقسى من محنة عام ١٩٦٧ لتكفى لإقناع أى عربى بأن يتناسى نفسه ، وأن ينكر ذاته وأن يتجاوز

ضغائنه وأحقاده . لإقامة هذه الجبهة . وذلك لتحميه ولتحمى الآخرين ، ولتصد عنه التوسع الذى سوف يجتاحه كما سوف يجتاح الآخرين.

ولا نظن أن تنظيماً سياسيا يؤمن كل الإيمان الذى تدعيه نشراته وصحفه ، بالأمة العربية وبرسالتها ، وبوحدتها ويستعد كل هذا الاستعداد الذى تقول به دعايته ، لبذل كل تضحية فى سبيلها ، لانظنه يستكثر أو يعجز عن أن يتصالح مع رفاقه .. لكى يواجهوا المحنة المشتركة وهى أحلك وأدهى مامر بالأمة العربية. « ذات الرسالة الخالدة » ! ولكن لم يحدث شىء من هذا ، ولا (مرحليا) .

الحرب الشعبية :

والدولة التى تؤمن بالحرب الشعبية والقتال الشعبى وبالقضاء النهائى على العدو هى الدولة التى تسلح كل الشعب ، وتجند كل الشعب وتدفع كل الشعب ، الجيش والمواطنين جميعاً للحرب ، ولا يمكن أن تكون الدولة التى تتلكأ فى الدعوة إلى حرب أو للاستعداد والتنسيق لحرب ، أو التى تضع جيشها على جبهة خامدة خاملة وترفض وضعه على جبهة مستعرة بالنار والدمار . .

وفى الحرب العالمية الثانية تحالف تشرشل الاستعمارى . مع ستالين الشيوعى مع روزفلت الرأسمالى . . فى مواجهة عدو مشترك .

ولكن ، العربى الثورى يتقاعس عن أن يتحالف مع عربى ثورى آخر ، فى مواجهة العنصرية الصهيونية والإمبريالية الأمريكية !!

ثم يجد فى الجرأة لكى يتهم الآخرين بالتسليم وبالتنكر لحقوق العرب وثورة العرب !

وقد يكون أليما ، أن يثور هذا الجدل الآن ولكنه واضح ويعلمه الجميع – يعلمه الأعداء قبل الأصدقاء – ومن الأفضل أن ينفجر وذلك حتى يمكن الاحتكام إلى الجماهير العربية ، وهى صاحبة القول الأول والأخير . .

والحرب والمعركة لابد وأن تخلصنا من الأعداء الداخليين والخارجيين ، الظاهرين والمستترين !

جريدة الجمهورية

٣٠ يوليو ١٩٧٠

جمال عبد الناصر
وجيشه يبذلون العرق والدم
والتضحيات وغيره من أصحاب
الدكاكين الثورية الزائفة
يقدمون الثرثرة وزيف الشعارات
منظمة فلسطين العربية

جبهة القناة تشتعل بالقنابل
والنيران ومعارك الطائرات
وعبور القوات .. وأبطالها
يقدمون يومياً العرق
والدم والشهداء
والجبهات الأخرى ساكنة معطلة
وملتزمة عملياً بوقف إطلاق
النار .. والمسئولون عنها يملأون
دنيا ضجيجاً ومزايدات كلامية
منظمة فلسطين العربية

الصهيونية والاستعمار تطالب
بسقوط عبد الناصر
فمن هو الذي يلبي
طلب الصهيونية والاستعمار
منظمة فلسطين العربية

سياسة المدافع الصامتة والألسنة الحداد!

عندما تساءل عبد الناصر « لماذا لم تتلق القوات العراقية في الجبهة أمراً واحداً بالقتال » ؟

● ما زالت الأرض تهتز فى كل مكان ، منذ أعلن الرئيس جمال عبد الناصر قبول مصر للمبادرة الأمريكية التى تحمل اسم مشروع روجرز .

فى إسرائيل ، وفى الولايات المتحدة ، وفى العالم العربى أيضاً .. حيث كان الرد العنيف ، القاطع ، الذى أرسله عبد الناصر إلى الرئيس العراقى أحمد حسن البكر ، هو حادث الأسبوع . . .

وعند ما أعلن عبد الناصر قراره بقبول المبادرة ، كان فى الواقع يقبل تحدياً جديداً من تحديات المعركة المستمرة منذ ثلاث سنوات وكان معروفاً مقدماً أن الأرض ستهتز فى أماكن كثيرة .

وقد صدقت التنبؤات ، وإن كان بعضها مؤسفاً . . .

ففى العالم العربى ، لم يكن ممكناً ولا متوقعاً أن يكون رد الفعل متشابهاً فى كل مكان . لأن للدول العربية مواقف مختلفة ، ودوافع مختلفة فى سياساتها إزاء القضية ، ولأن المقاومة الفلسطينية المسلحة ،

من حقها أن ترفض مشروع روجرز كما رفضت من قبل قرار مجلس الأمن ، كما أن من حقها أن تطمئن إلى أن قبول المبادرة لا يضع أى قوة عربية فى وجه كفاح المقاومة المسلحة المشروع .

كذلك كان معروفاً أن هناك قوى عربية كثيرة تتخذ المزايدة الكلامية أسلوباً لها فى التنصل من المعركة وتبعاتها الحقيقية . وإن هذه القوى تنفذ سياسة .« المدافع الصامتة والألسنة الحداد » . فبينما هى تطالب من أعلى المنابر بما تتصور أنه أكثر المطالب تطرفاً ، لا تمارس فى عملها السياسى والعسكرى أى شىء يمت بصلة إلى هذا الذى تطالب به . فهى تحاول دائماً أن ترفع الثمن حتى لا تدخل الساحة .

على أن ما أقدم عليه نظام الحكم فى العراق ، فاق فى حدوده كل ما كان متوقعاً ومتصوراً. فإلى جانب كل الأسباب السابقة ، التى تتلخص فى سياسة التنصل من الاحتراق بنيران المعركة عن طريق المزايدة ، كان لدى السلطة الحاكمة هدف آخر ، هو المكسب الحزبى فقد ظن جناح حزب البعث الحاكم فى العراق ، أن هذه المزايدة الكلامية ، وشن الحملات المسعورة على عبد الناصر ، يمكن أن تزيح من طريقه زعامة عبد الناصر التى يظن أنها العقبة التى تعترض بسط نفوذه على العالم العربى . . .

ولكن المشكلة التى عجز الحاكمون فى العراق عن فهمها عبر السنوات ، هى أن النفوذ الحقيقى بين الجماهير العربية لا يتحقق بواسطة الكلام . وأن الجماهير العربية يمكن أن تلتف فقط حول الذين يقدمون لها شيئاً ملموساً ، وليس مجرد الكلام . . .

هكذا . . . دبرت المظاهرات فى شوارع بغداد . وحشدت لها كل طاقات السلطة والحزب .

وكان معروفاً فى دوائر عربية كثيرة ، ولدى الرأى العام العربى أن مشكلة الجبهة الشرقية ظلت بعد ثلاث سنوات من الحرب قائمة بغير حل ، وأن حكومة العراق تحمل فى هذا المجال بالذات مسئولية جسيمة وكان معروفاً أن الحكومة العراقية تذيع بيانات غير حقيقية عن حجم قواتها فى الجبهة ، ولم يكن هذا سراً على أحد : والعالم العربى يرى الجبهة الشرقية صامتة طوال ثلاث سنوات تركز فيها العبء على الجبهة المصرية وحدها . ويرى الذين يرفضون وقف إطلاق النار بالقول يمارسون هذا الوقف بالفعل يوماً بعد يوم ، أكثر من ألف يوم .

ومع ذلك ، كانت القاهرة تتحمل كل هذه الأعباء فى صمت ولا تترك فرصة للتنسيق أو التشجيع إلا وتنتهزها ، أملا منها فى أن تقوم هذه الجبهة بشكل جدى ذات يوم .

فلما ارتفعت الحملة العراقية إلى هذا الحد ، وتجاوزت حدود إعلان الموقف السياسي إلى نطاق التشهير المقصود بالجمهورية العربية المتحدة ، بقصد تحقيق مكاسب حزبية لن تتحقق ولو لحق بالقضية ذاتها أكبر الضرر ، لم يكن هناك بد من أن تضع القاهرة بعض النقط على الحروف . . .

ولم تشن القاهرة حملة مضادة . ولكنها نبهت فى ضبط نفس شديد إلى خطورة هذا اللعب بالنار . وإلى أن الذين يصرخون إنما يحاولون إضعاف القوة الأساسية التى يحسب لها حساب فى المواجهة ضد إسرائيل والتى تركز عليها إسرائيل كل حملاتها العسكرية والسياسية معا . . . دون أن يكون لهذا التحذير أثر .

وعندما أرسل الرئيس العراقى أحمد حسن البكر رسالة إلى الرئيس جمال عبد الناصر ، ليس فيها أى شىء أكثر مما تقوله الصحف هناك . وأرسل عبد الناصر رداً موجزاً ، ولكن كل فقرة فيه محملة بالمعانى الأليمة ، والتى تحاشت القاهرة طويلا أن تقولها رسمياً للرأى العام العربى . . .

ومن فقرات هذا الخطاب :

● « . . . إن التجارب علمتنا أن العبرة ليست بما يقال فى المحافل ، ولكن العبرة بما يجرى تنفيذه على الواقع . وحين تلوح

أمامنا فرصة للتحرك ، فإننا لا نملك حق التغافل عنها خصوصاً وأن هناك أجزاء كبيرة من الأرض العربية تتعرض لمهانة الاحتلال ... وإذا كان فى إمكاننا تخليص القدس العربية وغزة والضفة الغربية والمرتفعات السورية وسيناء من المحنة الرهيبة التى نعيشها الآن ، فلست أدرى لماذا لا نتحرك ؟ »

« إن الشعب المصرى لم يمارس ترف القتال من فوق منابر الخطابة ، أو من دهاليز المناورات السياسية ، وإنما مارس دوره فى وضح النهار ، وفى ميادين الخطر ، بكل أعبائه ومشاقه المادية والمعنوية ، وكان الشعب المصرى — وسوف يكون — طليعة التحرير .

« لقد كنت أتمنى لو أن الجهد الذى بذل لتنظيم هذه المظاهرة والإعلان عنها ، وجه إلى ما هو أجدى منها . وكان الأجدى منها توجيه طائرة تقصف مواقع للعدو ، أو تعزيز فاعلية الجيش العراقى على الجبهة الشرقية ضده .

« ولست أخفى على سيادتكم أننى أحياناً أتساءل لماذا لم تتلق قواتكم على الجبهة فى أى وقت من الأوقات أمراً بالاشتباك مع العدو ؟ لماذا لم تقم طائرة من طائراتكم بالإغارة على مواقعه ؟ لماذا لا يوجه العدو اشتباكاته نحو قواتكم ، ولماذا لا يوجه طائراته نحوها ؟

« إن تركيز العدو كله على الجبهة المصرية ، والنار ضد العدو كلها من الجبهة المصرية . وذلك شرف نعتز به ، ونعتبره شهادة لنا عن إدراك عميق بأنه ليس بالشعارات وحدها تدور الحرب وتتم معارك التحرير » .

ويوم الأحد ليلا ، وصل الرئيس معمر القذافى إلى مطار القاهرة قبل منتصف الليل بقليل ، وكان قد خرج من اجتماع لمجلس قيادة الثورة الليبي إلى الطائرة رأساً ، على أن يذهب بعد القاهرة إلى بغداد ، فى محاولة لحصر الأزمة .

وكان المفروض فى نفس الأسبوع أن تشترك العراق — والجزائر مع دول المواجهة الأخرى فى اجتماع لوزراء الخارجية ووزراء الدفاع ، اتفق على عقده فى مؤتمر طرابلس الماضى ، لبحث خطة العمل فى الجبهة الشرقية بالذات بناء على مشروع الرئيس معمر القذافى لتعبئة الطاقات القومية للمعركة ، ولكن العراق والجزائر أعلنتا امتناعهما عن الحضور .

وخطة « التنصل » كما جاء فى أول هذا الحديث ، ليست بعيدة عن خطة « المزايدة » .

المصور ٧ أغسطس ١٩٧٠